

"الوثائق الدبلوماسية السويسرية" .. سبقت ويكيليكس ويديرها مؤرخون

بقلم : دوريس لوتشيني- swissinfo.ch

ما هو السبيل إلى تحويل أطنان من الأوراق والوثائق والمراسلات، التي تجمعت على مدى أزيد من قرن ونصف من العلاقات الدبلوماسية مع البلدان الأخرى، إلى مصادر موثوقة للمؤرخين وطرائف مُنتقاة للفضوليين؟ الحوار التالي يقدم تفاصيل وصفة مؤسسة "الوثائق الدبلوماسية السويسرية".



السيد ساشا زالا، مدير مؤسسة الوثائق الدبلوماسية السويسرية. (cortesia)

في عام 1964، أعربت الحكومة الكوبية عن رغبتها في استقدام سبّاك (مخصص في إصلاح دورات المياه) إلى الجزيرة، لنقل معارفه إلى السكان المحليين. وفي الرسالة التي بعث بها إلى برن، شدّد السفير السويسري على الأهمية التي توليها كوبا للمسألة بل رسم ملامح المنطوق المثالي (للقيام بالمهمة)، الذي يُستحسن أن يتحدث الإسبانية أو الإنجليزية وأن لا ينشغل كثيرا ببعض ظواهر الفوضى الإدارية والتنظيمية في البلد وأن يتحمّل تغيير النمط الغذائي وأن يكون قادرا على الصمود أمام جاذبية النساء الكوبيات في عُزلة الأرياف النائية.

وبطبيعة الحال، يجب أن لا يتأثر هذا الأخصائي في إصلاح دورات المياه بالانتقادات الشديدة الموجهة إلى الولايات المتحدة على أعمدة الصحف المحلية ومن طرف الساسة الكوبيين وأن يبتعد تماما عن إبداء الرأي في السياسة الداخلية للجزيرة.

في مذكرة دبلوماسية أخرى، يكتشف القارئ أن عملية البحث عن الأخصائي المطلوب لم تُسفر "مع الأسف" عن نتيجة إيجابية. فقد عبّر خبراء القطاع، عن خشيتهم من النتائج التي قد تترتب عن رحلة أحدهم إلى كوبا، فهم يعملون مع المزارعين السويسريين، الذين لا ينظرون بعين الرضى إلى السياسة الثورية الكوبية.

هذه الرسائل، التي توثق لحقبة من السياسة الخارجية ومن التاريخ الاجتماعي السويسري، كانت تُعتبر "شديدة الحساسية"، لكنها توقفت عن ذلك منذ فترة بعيدة (بل من المحتمل أنها لم تكن كذلك بالمرّة)، ومع ذلك، لا زالت تحتفظ بشيء من الجاذبية أو السحر. ولا يتعلّق الأمر هذه المرة بالسحر المُرتبط بالطابع السري للوثائق، الذي تحرص عليه ويكيليكس مثلا، ولكنه سحر النصّ المُنتقى بعناية والمُدرج في سياقه والمُرفق ببطاقة توضيحية. إنها الوثيقة التي لن تضيع في خضمّ الأمواج المتلاطمة لبحر الفيضان المعلوماتي المتاح في عالم اليوم.

هذا العمل الدؤوب والدقيق والصامت، يُنجز من طرف "الوثائق الدبلوماسية السويسرية"، التي رعّت منذ 1972 نشر آلاف الوثائق المتعلقة بتاريخ السياسة الخارجية السويسرية. ومع أن مُنطلق الفكرة كان يقتصر على توفير مادة أولية للمؤرخين، إلا أن مؤسسة "الوثائق" استغلّت التكنولوجيات الجديدة، للوصول إلى جمهور أوسع، مثلما يشرح مديرها ساشا زالا في الحوار التالي.

swissinfo.ch: تتمتع الوثائق الدبلوماسية السويسرية بسُمعة جيّدة لدى الخبراء والمعنيين. ما هو الأمر الإستثنائي الذي تُوفّره في زمن أصبح فيه كل شيء تقريبا متاحا على الشبكة؟

ساشا زالا: إنها الأهمية. إن ميزتنا الكبرى تتمثل في الإكتفاء بنشر 600 وثيقة في السنة، وليس 600000. إن نشر 600000 وثيقة أسهل بكثير، إذ يكفي أن تضع شخصا أمام جهاز مسح ضوئي وتطلب منه ترقيم أرشيفات بأكملها. وتتمثل المشكلة في أن لا أحد يتحمّل عبء اختيار وتصنيف الوثائق وتبويبها. فكومة اللّبن تظل على حالها، كما أن الإبر لا يُمكن العثور عليها (في إشارة إلى المثال الشهير: كمن يبحث عن إبرة في كوم من اللّبن).



إن هدفنا يتمثل بالتحديد، في القيام بعملية الإختيار والتبويب والربط بين الوثائق. نحن مجموعة من المؤرخين ونقوم بعملنا استنادا إلى مقاييس علمية. وسواء تعلق الأمر بالنسخة المطبوعة من عملنا أو بقاعدة البيانات الإلكترونية، فإن السؤال الذي نطرحه على أنفسنا هو التالي: هذه الوثيقة، هل هي مهمة للبحث التاريخي أم لا؟ وبالإضافة إلى الأهمية التاريخية للوثائق، هناك الهيكل الواضحة لقاعدة بياناتنا، التي تسمح بإجراء بحوث ناجحة.

لدى التخطيط لعلمكم تمنحون الأولوية للمؤرخين، لكنكم تسعون إلى الوصول إلى الجمهور العريض أيضا. فعلى سبيل المثال، تنشرون ملفات ترتبط بالأحداث الجارية، مثل ذكرى مرور 150 عاما على توحيد إيطاليا وحصيلة 50 عاما من التعاون والمساعدة من أجل التنمية لسويسرا. ما هو مردود هذه الاستراتيجية؟

تُجلب الوثائق التي تخضع للدراسة والتبويب من طرف الفريق العامل في "الوثائق الدبلوماسية السويسرية" من الأرشيف الفدرالي. (cortesia)

ساشا زالا: لا نريد أن نتابع سير الأحداث الآنية. فنحن أصحاب مشروع تاريخي يتقيد والتبويب من طرف الفريق العامل بمقاييس علمية صارمة. مع ذلك، يُسعدنا - إن أمكن لنا ذلك - أن نُطِيع الجمهور على الجواهر التي توجد في قاعدة بياناتنا. ويُمكنني القول أن ردة الفعل جيدة.

هذه الملفات تُمكننا من قدر من التواجد في وسائل الإعلام. وفي كل مرة، ننشر واحدا منها يرتفع عدد الزيارات إلى موقعنا. ومع أن عدد المتصفحين لا يُقدّم أي معلومات عن الجودة العلمية لعملنا، لكنه يظل مهماً. ففي هذا المشروع، تُستثمر أموال عمومية وبقدر ما تتسع شريحة السكان، التي نصِل إليها ونثير اهتمامها، يكون ذلك أفضل.

إن الأحداث تمنحنا فرصة الخروج مما يُسمى بالبرج العاجي، وإقامة الدليل على أن البحث التاريخي، يُمكن أن يكون مفيدا لفهم الحاضر. فقبل سنتين، أي عندما اندلعت الأزمة مع الولايات المتحدة حول مسائل ترتبط بالسر المصرفي، أصدرنا بيانا أوضحنا فيه أن خمسينيات القرن الماضي، شهدت احتكاكات مع الولايات المتحدة بخصوص السياسة الجبائية. وبالفعل، هناك أوقات تُصبح فيها قاعدة بيانات مثل التي توجد لدينا، مفيدة جدا لإظهار الثوابت وجذور المشاكل التي لا زالت تُطرح علينا اليوم.

في عام 2010، فُتم برُبط قاعدة بيانات الوثائق الدبلوماسية السويسرية بالبوابة الإلكترونية « Europeana »، لماذا؟

ساشا زالا: إن المكتبة الرقمية (Europeana) التي قرر الإتحاد الأوروبي إطلاقها، ينتظرها مستقبل كبير، لأنها تضمن - بالمقارنة مع محرّكات البحث التقليدية ذات التوجهات التجارية - جودة المعلومات، وهذه مسألة مهمة، خاصة للمواطنين العاديين، أي لغير الخبراء والمختصين.

إن إدماج قاعدة بياناتنا في هذه المكتبة الافتراضية، يُحقّق لنا عدّة إيجابيات، من بينها نشر الوثائق السويسرية على نطاق أوسع وإتاحتها لمستخدمي Europeana، الذين يتمكنون من العثور على المزيد من المعلومات وفي وقت أسرع، مقارنة مع البحث في المواقع الأخرى.

تشغّلون على وثائق دبلوماسية، لكنكم لستم ويكيليكس. فأنتم تحترمون القانون ويتوجّب عليكم انتظار انقضاء 30 عاما قبل الاطلاع على الوثائق. وفي بعض الأحيان، مثلما هو الحال بالنسبة لملف العلاقات بين سويسرا ونظام جنوب إفريقيا خلال فترة الميز العنصري، فإن الأرشيف يظل مُغلّقا بوجه الباحثين. هل يتسبّب لكم هذا في بعض المشاكل؟

ساشا زالا: هذه المسألة معقّدة. فأنا - ولأسباب علمية بديهية - من أشد المؤيدين لحرية البحث التي يضمنها الدستور السويسري. مع ذلك، فإنه من المشروع أيضا أن تكون للدولة أسرار وأن تقوم بحمايتها. وفي ديمقراطية تحترم نفسها، فإن المسألة تتمثل في التقليل من الأشياء التي من المشروع الحفاظ على سرّيتها إلى أدنى حدّ ممكن. لناخذ على سبيل المثال مخططات بناء "الحصن الوطني"، فلو كانت صالحة إلى حد الآن، لتوجّب حمايتها. وبما أنها لم تُعدّ كذلك (حيث أعلن رسميا عن انتهاء الحاجة إليها)، فيجب أن تُصبح متاحة للجمهور.

إن المشكلة تنشأ عندما يتم استدعاء الأمن القومي لمحاولة التغطية على مسائل أخرى. وحسب رأيي، فإن حجب الأرشيف المتعلق بجنوب إفريقيا، غير مُبرر، بل إنه - على العكس من ذلك - مُضّر. وهنا تجدر الإشارة أيضا إلى أن الإدارة المعقّدة في دولة حديثة مثل سويسرا، تعني أن تنفيذ القرارات يترك أثارا (وبصمات) في كل مكان، ما يعني أن الأسرار ليست محفوظة كما يُعتقد. يضاف إلى ذلك، أن سويسرا ليس لديها الكثير مما تُخفيه، فهي لم تُشجّع على تنظيم عمليات انقلابية في أمريكا اللاتينية ولم تأمر بتنفيذ تحركات عسكرية... إلخ.

ومن خلال القيام بمقارنات على المستوى الدولي، يُمكنني القول أن مشروعنا البحثي، يستفيد من إيجابيات أساسية، تتمثل في عدم ارتباطه بهيئات سياسية. فالقرار النهائي بخصوص الوثائق التي يتم نشرها، يعود إليّ، وأنا باحثٌ حرٌ ولست موظفاً. فالقانون الفدرالي حول الأرشيف، يتّجه إلى اعتماد مقاييس دولية ويُنصّ على أنه يُمكن الاطّلاع على الوثائق بعد انقضاء فترة حماية تستمر 30 عاماً. ومع الأسف، شهدت السنوات الأخيرة تطبيق القانون الفدرالي لحماية المُعطيات (الذي تمّت بلورته لمعالجة القضايا العادية)، بطريقة تتسم بتضييق أكبر، بما في ذلك الوصول إلى الوثائق التاريخية.

إن المدافعين عن حرية البحث، ليست لديهم قوة ضغط (لوبي) خاصة بهم، في الوقت الذي أصبح فيه الوصول إلى المصادر التاريخية أكثر صعوبة وبيروقراطية. ومن المفترض أن يكون بلد يحمل قيمة ديمقراطية رفيعة مثل سويسرا، أكثر تقيظاً للإبقاء على حيوية هذه القيم وتجنّب إغراقها في مستنقع من المُماحكات القانونية.

دوريس لوتشيني - swissinfo.ch
(ترجمه من الإيطالية وعالجه: كمال الضيف)

معارض صور



دير آينسيدلن

تعرف على وثائق تراثية من أرشيف دير آينسيدلن في كانتون شفيتس

الوثائق الدبلوماسية السويسرية

تُعتبر مركزا للبحث التاريخي، تأسس في عام 1972، باعتباره مشروعاً لنشر معلومات من مصادر رسمية مفيدة لدراسة السياسة الخارجية والعلاقات الدولية لسويسرا.

اليوم، تحوّلت إلى مشروع تابع للأكاديمية السويسرية للعلوم الأخلاقية والاجتماعية، يُشرف على تسييره المؤرخ **ساشا زالا** ويعتمد على ثمانية متعاونين علميين ينتقون ويعلّقون وينشرون الوثائق ذات الأهمية، من بين الكمّ الهائل المتوقّر في الأرشيف الفدرالي السويسري.

يحظى هذا المشروع بالدعم من طرف مؤسستين حكوميتين، وهي الأرشيف الفدرالي السويسري ووزارة الخارجية السويسرية، لكنه مُستقل من الناحية السياسية. من جهة أخرى، تضمّن لجنة من الأساتذة من كافة الجامعات السويسرية، يترأسها المؤرخ **هانس أولريخ يوست**، الأسس العلمية لنشاطها.

إلى حد الآن، قامت هذه المؤسسة بنشر **22 مجلداً**، تشتمل على أكثر من **15000 وثيقة** تُغطي الفترة الزمنية الممتدة من 1848 إلى 1963.

قاعدة البيانات "دوديس"

تشتمل قاعدة البيانات دوديس **Dodis** على النسخة الرقمية لحوالي **6000 وثيقة** ومعلومات حول أكثر من **30000 شخص** و**13000 منظمة** و**3500 موقع جغرافي**.

لا تتضمن قاعدة البيانات المضامين النقدية للمجلدات المطبوعة، التي قامت "الوثائق الدبلوماسية السويسرية" بنشرها إلى حد الآن.

منذ يونيو 2010، أدمج محتوى قاعدة البيانات دوديس في البوابة الافتراضية **europa.eu**.

وصلات

"أوروببينا"، أضخم مكتبة افتراضية في أوروبا
الوثائق الدبلوماسية السويسرية
قاعدة البيانات دوديس
القانون الفدرالي حول الأرشيف
ساشا زالا

وصلة هذا المقال

<http://www.swissinfo.ch/ara/detail/content.html?cid=30474930>

[إغلاق](#)